

الضوابط الشرعية في علاج الانحرافات السلوكية

د. كمال طه مسلم سليم*

سلم البحث في ١٩/٨/١٤٤٦هـ  اعتمد للنشر في ٢٢/٩/١٤٤٦هـ

ملخص البحث:

خلقنا الله على الفطرة النقية، والسلوكات السوية، وأنزل الشريعة الربانية، لضبط سلوك البشرية، على المنهج القويم والصراط المستقيم، والابتعاد عن طريق الانحراف والغواية، والتمسك بطريق الحق والهداية، فكان حرياً بنا أن نسعى لنضيء الكون، بالضوابط الإيمانية للسلوكات الإنسانية، ولاسيما في زمن توسعت فيها المجتمعات العمرانية، واختلفت فيها معايير القيم، والسلوكات الإنسانية، فحسن السلوك وقيمه يختلف ميزانه، من مجتمع إلى مجتمع، ومن زمان إلى زمان، فالزنا حرية شخصية في بعض المجتمعات، ومُجَرَّم في البعض الآخر، والشذوذ مُجَرَّم في بعض المجتمعات، مرغوب فيه في البعض الآخر؛ بل إن العلاقات لتبنى على أساس إقراره أو إنكاره، ولكن معايير السلوك والقيم والأخلاق في الإسلام واحدة، لا تتبدل ولا تتغير منذ مبعث النبي محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأحببت أن أسلط الضوء على روعة وجمال ضوابط السلوك في الإسلام، وبيان معاييرها، وسبل الانحراف وأسبابه، وطرق الوقاية منه، وعلاجه، وأثاره المترتبة على الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: السلوك - القيم - الضابط - الانحراف - الإيمان

Abstract

God created us with pure nature and proper behavior, and sent down the divine law to regulate human behavior, according to the correct method and the straight path, and to stay away from the path of deviation and temptation. It was necessary for us to strive to illuminate the universe with the faith-based controls for human behavior, especially in societies where urban communities have expanded and where the standards of human values and behaviors have differed. The scale of good behavior and its values differs from one society to another, but the standards of behavior, values, and morals in Islam are the same since the mission of the Prophet, may God bless him and grant him peace, until God sends the earth and everything on it. I wanted to shed light on the magnificence and beauty of the controls of behavior in Islam, and to explain the ways and causes of burnout, and the methods of prevention and treatment of it, and its consequences for the individual and the group.

Keywords: Behavior – Values – Control – Deviance – Faith

* أستاذ مشارك للغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية البحرين للمعلمين، جامعة البحرين.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الخلق القويم، وأرشده إلى الفطرة السوية، والطريق المستقيم، والصلاة والسلام على المبعوث هداية، ورحمة، وقدوة في كل خلق كريم، وسلوك قويم، وعلى آله وصحبه، الذين اتبعوه على صراط مستقيم، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خلفنا الله على الفطرة النقية، والسلوكات السوية، وأنزل الشريعة الربانية؛ ضابطاً لسلوك البشرية، حتى لا ينحرف أحد عن الضوابط الإيمانية التي جعله في مساره المستقيم، وتتحقق به الفطرة السوية، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

ومن انحرف عن هذا الطريق، وحاد عن هذا السبيل، تخبطت به الطرق، وضلَّت به السُّبُلُ، وسار في طريق الغواية والضلال، والتعاسة والانحلال، والعذاب الأبدي، والجحيم السرمدي، وعاش في ظلام دامس على قدر بُعْدِهِ وانحرافه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٢).

وما تمر به مجتمعاتنا اليوم من ثورات معلوماتية وتكنولوجية، وتدافع ثقافات بشكل هائج، وخُطى منتظمة أدت إلى انحراف القيم وانحلال الأخلاق، وانتكاسة السلوكات، وانحدار المعتقدات والأفكار والعادات، وانقلاب الموازين، حتى أصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ولا يمكن من الوقوف أمام هذه الثورات، وهذا الامتداد الثقافي والغزو الفكري، والهيّاج السلوكي والقيمي والأخلاقي إلا بالرقابة الإلهية، والضوابط الإيمانية الربانية، التي تكبح جماح النفس، وتضبط سلوكها.

وتوجه مسارها إلى الفطرة السوية، والطريق المستقيم الذي تتحقق به السعادة الإنسانية وتطمئن به البشرية؛ لذلك كان لزاماً على أهل العلم، والإصلاح أن يسبروا أغوار هذه الضوابط ويبرزوها، ويحصوا أسباب هذا الانحراف السلوكي والأخلاقي ويبينوها، حتى يستقيم الأفراد، وتتوقف الجرائم، وتأمين المجتمعات، وينتشر الأمن والأمان، والمحبة والوئام؛ ولذا فقد جاء هذا البحث بعنوان: (الضوابط الشرعية في

علاج الانحرافات السلوكية)

(١) سورة: النحل، الآية: (٩٧).

(٢) سورة: طه، الآية: (١٢٤).

أهداف الدراسة:

١. إبراز الضوابط الشرعية لضبط السلوك الإنساني.
٢. بيان أسباب وقوع الانحرافات السلوكية.
٣. الكشف عن آثار الانحرافات السلوكية على الفرد والمجتمع.
٤. تحديد سبل الوقاية، وطرق العلاج من انحراف السلوكيات.

مشكلة الدراسة:

ما تعيشه المجتمعات الآن من ثورة معلوماتية متلاحقة في شتى الميادين، ولا سيما تدافع الثقافات على وسائل التواصل الاجتماعي، والتي أدت إلى انحراف الأخلاق وانتكاسة الفطر، وانتشار الجرائم، وعموم الفوضى القيمة فكان لزاماً علينا أن نجيب عن هذه الأسئلة الآتية:

١. ما تعريف السلوك؟ ومتى يوصف بالاستقامة أو الانحراف؟
٢. ما الضوابط الشرعية الربانية التي تضبط السلوك الإنساني من الانحراف؟
٣. ما طرق الوقاية من انحراف السلوك؟ وما سبل العلاج؟
٤. ما خطورة انحراف السلوك على الفرد والمجتمع؟

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعي للدراسات الواردة في هذا الباب البحثي -الدراسات السلوكية- وقفت على عدة دراسات معنية به على سبيل الإجمال، غير أنني قد وجدت فيها قصوراً من حيث إنها تختص ببعض الجوانب دون بعض، وكان من أبرز تلك الدراسات التي وقفت عليها، ما يلي:

١. السلوك الإنساني، بين الفطرة والمؤثرات في القرآن الكريم " دراسة تحليلية موضوعية"، وهي رسالة دكتوراه، لعبد الوهاب عيسى يوسف، تحت إشراف سر الختم سعيد محمد، جامعة أم درمان الإسلامية / قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم (٢٠٠٩م)

وقد تناول فيها الباحث: الإنسان من حيث سلوكه، ونظراته، ودوافعه، واستعرض مفهوم سوء الخلق، والانحرافات السلوكية، وأهم أسبابها وآثارها.

٢. الفطرة وأثرها في عصمة البشرية، بحث منشور لفكرى عبد الله عبد الجليل الحكيمي، بمجلة الدراسات الاجتماعية في اليمن (٣٣). (٢٠١١م).

وقد استعرض فيه الباحث تعريفات ودلالات الفطرة، وأسباب وآثار الانحرافات البشرية عن الفطر الإنسانية.

٣. الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، وهي رسالة ماجستير، للباحث: عبد الرحمن محمد الحارثي، تحت إشراف: محمد عبد الرؤوف عطية السيد، بجامعة أم القرى / كلية التربية / قسم التربية الإسلامية والمقارنة، بالمملكة العربية السعودية (١٤٣٣هـ)، استعرض من خلالها الباحث الانحرافات السلوكية والفكرية، بشكل عام وآليات معالجتها.

وبعد الاطلاع على هذه الدراسات، وغيرها من الدراسات، تبين أنه لا توجد -في حدود علمي- دراسة جامعة لجوانب التعريف، وبيان الضوابط، وسبل الانحراف، وطرق الوقاية، والآثار المترتبة على الانحراف السلوكي على الفرد والمجتمع. فقد اتفقت البحوث السابقة مع بحثي في بيان المصطلحات المتعلقة بالسلوك وانحرافه،، وأسباب الانحراف وآثاره، وتميز بحثي، بدراسة الضوابط الشرعية للسلوك، واستعراض أسباب الانحراف وآثاره، وطرق الوقاية، وبيان آليات ووسائل العلاج، فقد أعطيت في البحث تصورا متكاملًا لطبيعة السلوك، ومعاييره الشرعية التي لا تتبدل، وسبل المحافظة عليه.

منهجية البحث:

استخدمت في البحث المنهج الوصفي، التحليلي، الاستقرائي، وتتبع ظواهره من خلال المراجع والمصادر العلمية والشرعية، ووصفها وصفًا دقيقًا، من خلال الواقع، وتحليلها تحليلًا علميًا، وشرعيًا وتربويًا، وذلك بهدف الوصول إلى السلوك القويم، من خلال تحديد الضوابط، والتحديات التي تسبب انحراف السلوك، وسبل التصدي لها، مع الاستعانة بالمراجع الحديثة التي تضمنت الحديث عن ضوابط السلوك، وأسباب انحرافه.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. المقدمة: تشتمل على: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث. التمهيد: في بيان مفهوم السلوك والانحراف والضابط الشرعي لغة واصطلاحًا، ويشتمل على ثلاثة مباحث؛ وهي كالاتي:

المبحث الأول: تعريف السلوك لغة واصطلاحًا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السلوك لغة.

المطلب الثاني: تعريف السلوك اصطلاحًا.

المبحث الثاني: تعريف الانحراف لغة واصطلاحًا. وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف الانحراف لغة.
- المطلب الثاني: تعريف الانحراف اصطلاحاً.
- المبحث الثالث: تعريف مفهوم الضابط الشرعي. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: تعريف الضابط في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثاني: تعريف الشرعي في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الأول: الضوابط الشرعية للسلوك. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الضوابط العامة.
- المطلب الثاني: الضوابط الخاصة.
- المبحث الثاني: أسباب انحراف السلوك. وفيه خمسة مطالب:
- المطلب الأول: ضعف الإيمان بالله تعالى.
- المطلب الثاني: نزغات الشيطان.
- المطلب الثالث: رفقاء السوء.
- المطلب الرابع: سوء معاملة الآباء.
- المطلب الخامس: الفراغ القاتل.
- المبحث الثالث: آثار الانحراف السلوكي على الفرد والمجتمع. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: آثار الانحراف السلوكي على الفرد.
- المطلب الثاني: آثار الانحراف السلوكي على المجتمع.
- المبحث الرابع: طرق الوقاية من انحراف السلوك والعلاج. وفيه مبحثان:
- المطلب الأول: طرق الوقاية من ظاهرة انحراف السلوك.
- المطلب الثاني: طرق علاج ظاهرة انحراف السلوك والتعامل معها. وفيه أربعة فروع:
- الفرع الأول: ضبط النفس بضوابط الإيمان.
- الفرع الثاني: تفعيل دور الأسرة والمسجد.
- الفرع الثالث: إبراز القدوة الصالحة وتوحيد المرجعيات الشرعية.
- الفرع الرابع: تفعيل دور مؤسسات الدولة في صياغة تشكيل الإنسان.
- الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.

التمهيد: بيان مفهوم السلوك والانحراف والضابط الشرعي لغة واصطلاحاً

المبحث الأول: تعريف السلوك لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف السلوك لغة

هو: مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلكت؛ أي: أدخلته فيه، فدخل.
يقال: سَلَكَ الطريق، يسَلُكُه، سَلَكَ، وسلوكًا، وسلوكًا، وسلُكُه غيره. وأَسَلَكَه إياه، وفيه، وعليه.
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي

الأَرْضِ ﴿^(١) أَي: أدخله ينابيع في الأرض. وأيضاً قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(٢)(٣).

المطلب الثاني: تعريف السلوك اصطلاحاً

ذُكِرَت تعريفات عدة في السلوك؛ من أهمها ما يلي:

- أنه: كل ما يصدر عن الأفراد من استجابات مختلفة إزاء أيِّ مواقف يواجهه^(٤).
- أو هو: كل ما يصدر عن الإنسان من نشاط ظاهر أو باطن^(٥).
- أو هو: عبارة عن الأفعال التي تصدر عن الحالة الراسخة الكامنة في النفس^(٦).
- أو هو: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، والتي من خلالها يتبين حسن سلوك المرء وسوءه^(٧).

ومن خلال ما سبق بيانه يمكننا تعريف السلوك بأنه: كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال ونشاطات، ظاهرة كانت، أو غير ظاهرة، تظهر سلوكه، وتبين حالة النفس، وما تحمله من معاني ودلالات.

المبحث الثاني

تعريف الانحراف لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف الانحراف في اللغة

هو: الميل والعدول عن الجادة، يقال: انحرف عنه، ينحرف انحرافاً. وحرَّفْتُهُ أنا عنه؛ أي: عدلت به عنه. ويقال: محارف: إذا حورف كسبه، فميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام؛ والذي هو عدله عن جهته؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ^(١)(٨).

(١) سورة: الزمر، الآية: (٢١).

(٢) سورة: الشعراء، الآية: (٢٠٠).

(٣) انظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي، الصحاح تاج اللغة، ١٥٩١/٤، ط٤: دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. وابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم أبو الفضل، لسان العرب، ١٠/٤٤٢، ط١: دار صادر - بيروت.

(٤) انظر: أبو الحطب، فؤاد - وفهمي، محمد سيف الدين، معجم علم النفس والتربية، ١٩/١، بإشراف: عبد العزيز السيد، ط: مجمع اللغة العربية - مصر - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٤م.

(٥) انظر: راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ٩/١، ط٧: دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٩٦٨م.

(٦) انظر: موسى، محمد يوسف، مباحث في فلسفة الأخلاق، ص ٧٤، ط: مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م.

(٧) انظر: القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص ٧٨، ط: مطبعة سفير، الرياض، ١٤٣٣هـ.

(٨) سورة: النساء، الآية: (٤٦).

ثانياً: تعريف الانحراف اصطلاحاً:

هو عبارة عن: الميل عن طريق الحق والصواب، والعدول عنه إلى طريق الباطل والضلال.

ويلاحظ هنا أن المعنى اللغوي والاصطلاحي يرجعان إلى أصل واحد؛ وهو: الميل والعدول والانحراف عن الشيء السويّ المستقيم إلى غيره^(١).

المبحث الثالث

تعريف مفهوم الضابط الشرعي

المطلب الأول: تعريف الضابط في اللغة والاصطلاح

الضابط في اللغة: مأخوذ من الضبط؛ وهو: لزوم الشيء وحبسه؛ يقال: ضبط، يضبط، ضبطاً، وضباطة. وضبط الشيء: لزومه بحيث لا يفارقه. أو هو: حفظه بالجزم. والضبط: الإتقان والإحكام. ورجل ضابط: أي: قوي على عمله. ويقال: فلان لا يضبط عمله: إذا عجز عن ولاية ما وليه^(٢).

أما الضابط في الاصطلاح: فهو عبارة عن: حكم كلي تندرج تحته فروع فقهية من باب واحد^(٣).

فالضوابط الفقهية أو الشرعية لها معنى واسع وشامل لكل ما يُحصر ويُحبس، سواء كان بالقضية الكلية، أو بالتعريف، أو بالتقسيم، أو بالشروط والأسباب والعلامات.

المطلب الثاني: تعريف مصطلح الشرعي في اللغة والاصطلاح

الشرعي في اللغة: نسبة إلى الشريعة، وهي تطلق في اللغة ويراد بها معان عدة^(٤): منها: شرعة الماء؛ أي: مورده. ومنها: الطريقة المستقيمة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾^(٥).

(١) انظر: القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٤٢/٢، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤١/٩، المعجم الوسيط، ١٦٧/١.

(٣) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ٣٤١/٧. والزيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٣٩/١٩، ت: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

(٤) ينظر ابن السبكي، عبد الوهاب تاج الدين، الأشباه والنظائر، ١١/١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. وابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، ص ١٧٧، ت: علي محمد عوض. ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٠م.

(٥) وللفظ الشريعة معان لغوية كثيرة لست بصدد تتبعها أو حصرها؛ تفادياً للإطالة. انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين أبو طاهر، القاموس المحيط، ص ٧٣٢، ت: محمد نعيم

أما الشريعة في الاصطلاح: فهي اسم لكل ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، في شعبها المختلفة، لتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة^(٢).

ومن خلال ما سبق بيانه يمكننا تعريف الضابط الشرعي للسلوك بأنه: تلك القيم والمبادئ الكلية التي جاءت أقرتها الشريعة الإسلامية، بحيث تسيطر على سلوك الفرد والمجتمع.

المبحث الأول

الضوابط الشرعية للسلوك

المطلب الأول: الضوابط العامة

سبق بنا الكلام قريباً على الضابط الشرعي، وذكرت أنه يقصد به: الضابط الديني للقيم والأخلاقيات والسلوك المستقيم مع الأفراد وفي المجتمعات، ووسائل ضبط الانحرافات.

وقد وضع الدين الإسلامي الضوابط العامة الدقيقة التي تسيطر على سلوك الفرد والجماعة؛ فقد أقر الإسلام ثلاثة ضوابط عامة، تشكل منهجاً تربوياً ربانياً متكاملًا؛ لاستقامة الفرد والمجتمع؛ وذلك كما يلي:

أولاً: الضابط الذاتي الداخلي والرقابة الذاتية الداخلية في النفس الإنسانية: والتي تمثل الوازع الديني، ومدى قوته وانعكاسه على امتثال القيم والأخلاق في الظاهر والباطن، وهو بمثابة المعيار الدقيق الذي يتحاكم الإنسان إليه ذاتياً.

ثانياً: ضابط المجتمع الذي ينضبط بتعاليم وقيم الشريعة الإسلامية: وذلك حيث يتفشى بين أفراد خُلِقَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويصبح السلوك السوي والمستقيم معروفاً ومحددًا، كما أن السلوك المنحرف فيه يصبح منبوءاً مستتكرًا لجميع أفراد المجتمع؛ وفي هذا امتثال لقوله تبارك وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}^(٣).

ثالثاً: ضابط السلطة والقانون: فعندما يكون القانون إنما يستقي تشريعاته من المصدر الإلهي للتشريع، ويقضي في سائر المخالفات بالعقوبات الشرعية المقدره

العرقسوسي، ط: ٨: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. وابن منظور، لسان العرب، ٨/١٧٥، - المعجم الوسيط، ص ٤٧٩.

(١) سورة: الجاثية، الآية: (٨).

(٢) ينظر: مناع القطان، التشريع والفقہ في الإسلام تاريخاً ومنهجاً، ص ١٥، ط: ٢: مؤسسة

الرسالة، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٣) سورة: آل عمران، الآية: (١١٠).

شرعاً، فيترتب على ذلك تحقيق انضباط سلوك الفرد؛ ليعيش حياة سعيدة هنيئة في نفسه أولاً، ثم تنعكس على من حوله بعد ذلك، حيث يصبح عضواً صالحاً في المجتمع

بيد كل ما يستطيعه في سبيل إسعاد الآخرين من حوله. أما إذا حاد هذا الفرد وانحرف، ولم يلتزم الاستقامة، فالسلطة حينئذ توجه وتنذر، فإذا أصر وعاند واقترب المخالفات، اقتضى الأمر حينئذ توقيع العقوبات الرادعة عليه، وهذا من خلال سلطة الدولة والقانون.

وهذه الضوابط السابق ذكرها تتكامل وتتضافر؛ لتحقيق الحياة الإنسانية الكريمة، والتي ترفل في ظلال السعادة الغامرة، والطمأنينة الوافرة، والأمن والأمان الدائمين، والسلم والرخاء المتكاملين، فهذه الضوابط العامة التي تحرص الشريعة من خلالها على تحقيق ضبط السلوك الإنساني، والتي تتمثل في الرقابة الذاتية الداخلية للإنسان على سلوكه؛ من خلال تطبيق معايير الإسلام القويمة على السلوك، فإذا ضعفت هذه الرقابة الذاتية، يتم حينئذ تفعيل الضابط الآخر وهو الضابط الخارجي على السلوك، وهو عُرْفُ المجتمع الأخلاقي، وقواعده، ومقاييس السلوك من الحسن وتعزيزه، والقيح والتحذير منه؛ حتى لا تقع المجتمعات في الانحراف والفساد.

أما الضابط الثالث؛ وهو المتمثل في سلطة الدولة، وذلك بفرض القانون الذي يميز السلوكات السوية من غيرها مما يعاقب عليها القانون، حتى لو قُدِّرَ فساد مجتمع بأسره؛ كأن يتفشى الزنا في بعض المجتمعات، أو ترك الصلاة، أو ترك الزكاة، فإن الإمام يقاتلهم على مثل ذلك، ويقيم على مقترفيها الحدود.

المطلب الثاني: الضوابط الخاصة

مما سبق بيانه يتجلى لنا كيف فصلت الشريعة الإسلامية تلك الضوابط العامة للسلوك، إلى ضوابط خاصة للسلوك الإنساني القويم؛ حيث جاء القرآن الكريم بالحث على الخلق الحسن، مبرزاً لحسن أخلاق رسول الله ﷺ في مواطن عدة، مادحاً إياه بها، وممتناً بها عليه؛ ليكون أسوة وقدوة للمجتمع الإسلامي فرداً فرداً؛ فمن ذلك ما قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُتِنُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ^(١)، وقال -جل ذكره- أيضاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ^(٢) .

وقد نبه النبي الكريم ﷺ على أهمية حسن الخلق؛ حيث قصر بعثته على غاية تعديل السلوكات السيئة المنكرة، وتعديلها إلى سلوكات حسنة مثالية؛ فمن ذلك قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٣).

فقد حرصت الشريعة الإسلامية على إتمام مكارم الأخلاق، وذلك من خلال تحديد معايير وضوابط السلوك الإنساني القويم، ومن أبرز تلك الضوابط المشار إليها:

١ - الإيمان بالله تعالى: فالإنسان الذي يؤمن بأن الخالق لهذا الكون بكل ما فيه، المدبر لشئونه، المالك المهيم الذي بيده مفاتيح كل شيء، يقول للشيء كن فيكون، تشرق في نفسه أنوار المراقبة الإلهية؛ فينعكس هذا على كل سلوكاته التي تصدر منه في السر والعلن، ويزداد إجلاله لله وتعظيم صلته به -جل في علاه-، ويمتلئ قلبه بالخشية من الله وتعظيم أوامره والخوف منه، فلا يكاد يقع في نواهيته، بل يسارع إليه مستعيناً بجناحي الرجاء والمحبة، موقناً بأن الله وحده هو المالك، النافع، الضار، فلا يملك له أحد ضرراً ولا نفعاً من دون الله، فيتحرر بذلك قلبه من كل المخاوف والأوهام، ولا يتعلق إلا بالله الواحد الديان؛ فينتج عن هذا مثل ما جاء في قوله تعالى مرشداً عباده الموقنين: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(٤) .

فثمرة الإيمان لها أثرها القوي على النفوس، والأجسام، والمشاعر، والأحاسيس، ونسيج الإيمان وإشراقته تضيء على النفوس عباقاً من الطمأنينة، والسكينة، والسعادة، وعلى الأجساد صحة، وعافية، ونشاطاً، وحيوية، وعلى العقل طاقة، وشغفاً، وسعة إدراك للكون والحياة. وهكذا يتضح لنا أثر الإيمان بالله، في كل التصرفات السلوكية للإنسان، وفي كل جوانب النفسية المؤمنة في كافة الأوقات،

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٢) سورة: القلم، الآية: (٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥١٢/١٤) برقم (٨٩٥٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٦٢/١١) برقم (٤٤٣٢)، والحاكم في مستدرکه (٦٧٠/٢) برقم (٤٢٢١)، والبيهقي في الكبرى (٣٢٣/١٠) برقم (٢٠٧٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه-، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) سورة: التوبة، الآية: (٥١).

ومختلف الأماكن، بحيث لا يختلف هذا الأثر باختلاف الأشخاص، ولا باختلاف الزمان ولا المكان.

٢- محاسبة النفس وتحمل المسؤولية:

فضابط المحاسبة والمسؤولية من أهم الضوابط التي تجعل المسلم يتحقق من سلوكياته؛ لأنه سيحاسب على كل صغيرة أو كبيرة من تلك السلوكيات، فيكون مدركاً مختاراً لها؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١). وقال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عِنْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»^(٢). فكان هذا الضابط الشرعي لكل تصرفات الإنسان وسلوكياته من أهم الضوابط؛ لأنه يجعل تصرفات الإنسان تحت المسؤولية الشخصية الكاملة له، يحاسب نفسه عليها حساباً دقيقاً، ويراقب من أجل ذلك - كل أفعاله، ويرصد ما كان من سلوك مخالف للشرع فيمحوه بالتوبة، ويستبدله بفعل الصالحات.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فهذا الضابط للسلوكيات، قد جعل الله فيه خيرية هذه الأمة قاطبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

فالإنسان المسلم الذي أضاء الله بصيرته بالإيمان، وتحلّى بأحسن الأخلاق، لا يترك غيره يغرق في وحل الانحراف السلوكي، أو الضلال الفكري أو الغواية؛ بل ينبغي عليه أن يضيء الطريق لغيره بالدعوة والإرشاد، بأجمل عبارة وألطف إشارة، وأرقى معنى، كل بحسب قدراته وحاله وإمكاناته؛ وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤)، فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أوجب واجبات على المسلم، وهو من أحق حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولقد قال

(١) سورة: الزلزلة، الآية: (٧-٨).

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، باب فى القيامة (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه- وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة: آل عمران، الآية: (١١٠).

(٤) سورة: النحل، الآية: (١٢٥).

النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

فتغيير المنكر، والأمر بالمعروف، من أبرز ضوابط السلوك الشرعي؛ إذ يمنع من انحراف السلوكات ويعمل على تقويمها، ويظهر الأخلاق الفاضلة، ويعمل على نشرها، فينبغي أن يحرص كل مسلم، على دعوة غيره كل على حسب مسؤوليته عليه، ومكانة المدعو عنده، والمصلحة التي يمكن أن تتحقق من وراء ذلك، فمن الناس من يجب التغيير عليه باليد؛ كالأب مع أبنائه ومن له عندهم مكانة تؤهله لذلك، ومنهم من ينبغي على المرء أن يغير المنكر عليهم بلسانه؛ كالأصدقاء وسائر الإخوان، فعليه أن يبذل النصح لهم، ومنهم من لا يستطيع المرء أن يغير عليه المنكر إلا بقلبه؛ وذلك حين يرى أن إنكار ذلك المنكر عليهم بلسانه سيؤدي إلى منكر أكبر؛ كأن يخشى منهم أن يقتلوه، أو يخشى أن يترتب على إنكاره منكر أعظم، فحينها لا أقل من أن ينكر هذا المنكر بقلبه، وذلك أضعف الإيمان، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

المبحث الثاني: أسباب الانحراف السلوكي

السلوك هو عنوان شخصية الإنسان، وهو بمثابة الترجمة الواقعية لمكوناتها، ولسان حالها، والناطق بأسرارها، والمحدد لمشاعرها في أفراسها وأتراسها، وهو حامل هويتها العقلية، والنفسية، والاجتماعية، والانفعالية؛ وذلك للتعامل مع الحياة بما يرسم صورة واضحة نقية للشخصية، سواء كانت سوية أو غير سوية؛ لذلك خلقنا الله على الفطرة السوية، ورسم لنا الشخصية المطمئنة؛ كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فيما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:- «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تَنْتَجِجُ الْبَيْهَمَةُ بِبَيْهَمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(٢)^(٣). فالحديث يبين أن أصل خلقة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب (٦٩/١) برقم (٤٩) من حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سورة: الروم، الآية: (٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصل على، وهل يعرض على الصبي الإسلام (٩٤/٢) برقم (١٣٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر،

الإنسان إنما جُبِلْتُ وهَيِّئْتُ على السلوك القويم، والميول والغرائز السوية، فلو تُرك الإنسان لفطرته، لاستمر على لزوم الخير، والعمل به، ولكن البيئة المحيطة والعوامل الخارجية تُغيّر وتُبدل، فإذا كانت البيئة المحيطة فاسدة، انتكست فطرة الإنسان، وصدرت منه سلوكات رذيلة؛ لأسباب خارجة وطارئة، تُحوّل الفطرة السوية إلى سلوكات منحرفة، وقد اجتهدت أن أجمع أهم الأسباب الطارئة في المباحث التالية.

المطلب الأول: ضعف الإيمان بالله تعالى

إن هذا الإيمان الذي يستقر في القلب، ويصدق العمل، قد يكون مجرد إيمان ظاهري، ليس له جذور في القلب يتأصل من خلالها فيه، فيتردى ذلك القلب الخاوي من الإيمان الأصيل في مرادي الهوى، واتباع وساوس الشياطين، فيفسد بذلك، ويتغير على صاحبه؛ كما أخبر ﷺ بقوله: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١)

فهذا الحديث يخبرنا بأن القلب هو بمثابة الملك للأعضاء، وهي كالرعية بالنسبة له، وأنه مركز الإرادات، فإذا صلح هذا الملك، وصلحت إرادته، صلحت كافة رعيته، التي هي الجوارح، فلا تتصرف إلا وفق مرضات الله تعالى، وأوامره، فتجتمع بذلك الطاعة على الطاعة، والحسنة على الحسنة، حتى يستضيء القلب بذلك، وينتفش فيه الإيمان، أما إذا فسد القلب، وفسدت إرادته، فسدت جميع رعيته، التي هي الجوارح، فيظلم ذلك القلب، وتضيق تلك النفس؛ فإنه مع كل ذنب يقترفه العبد، يُنكت في قلبه نكتة سوداء، فباجتماع الذنب على الذنب، يصبح القلب أسوداً مُرباداً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أُشرب من هواه.

المطلب الثاني: نزغات الشيطان

خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه، وأكرمه بالفطرة السليمة، فحسده الشيطان على ذلك التكريم، وأقسم على غوايته وإضلاله؛ كما أخبر عن ذلك رب العزة -جل في علاه- بقوله حاكياً هذا القسم من إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) ومن أجل ذلك اتخذ جميع السبل الممكنة له؛ حيث قال: ﴿لَنْ أَتِيَنَّهُمْ مِنْ

باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبّرأ لدينه (١/٢٠) برقم (٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/١٢١٩) برقم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) سورة: ص، الآية: (٨٢).

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١﴾ . وفي الحديث: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءَ كُلُّهُمْ، وَأَنْتَهُمُ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»^(٢).

ففي هذا الحديث دلالة صريحة على غواية الشيطان لبني آدم؛ حيث يقول فيه: «فاجتالتهم» أي استخفت بهم، وأغرتهم بالباطل، فحولتهم عن فطرتهم السوية، إلى السلوكات البشرية المنحرفة.

وقد أوصى الله -تبارك وتعالى- رسوله ﷺ وسائر عباده المؤمنين بأن

يُطْرَدُوا

عنهم تلك الوسواس والنزغات المضلة، والتي تهدي إلى سبل الهلاك والغواية، ويحمد من يفعل ذلك، ويثني عليه خيراً؛ حيث يقول -جل ذكره-: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾^(٣).

المطلب الثالث: رفقاء السوء

إن من الثابت لدى القاصي والداني: أن الإنسان ابن بيئته ومجتمعه المحيط، يؤثر فيهم ويتأثر بهم؛ ولذا فقد حذر القرآن الكريم من خلطاء السوء، وصحبتهم، وأرشد أتباعه إلى مدى خطورتهم وأثرهم السلبي في حياتهم، وسوء مآلهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٤).

وإن كل من صد عن سبيل الله، وأطيع في معصية الله، فهو شيطان للإنسان، خذولاً عند نزول العذاب والبلاء، ولقد أحسن من قال^(٥):

(١) سورة: الأعراف، الآية: (١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب التي يعرف بها بالدنيا أهل النار وأهل الجنة (٢١٩٧/٤) برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٣) سورة: الأعراف، الآية: (٢٠٠-٢٠٢).

(٤) سورة: الفرقان، الآية: (٢٧-٢٩).

(٥) هذان البيتان لصالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي. وانظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٦/١٣، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: ٢: دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. والمهدي، حسين بن محمد، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ٦٧٢/١، ط: وزارة الثقافة اليمنية، ٢٠٠٩م.

تجنب قرين السوء واصرم حباله *** فإن لم تجد عنه محيصاً فداره
وأحب حبيب الصدق واحذر مرآه *** تتل منه صفو الود ما لم تماره
وكما جاء في الحديث: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل
صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد
ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة»^(١).

المطلب الرابع: سوء معاملة الآباء

فالآب والأم هما اللبنة الأساسية لتكوين الأسرة السوية؛ حيث إن تعامل كل
واحد منهما مع صاحبه، ومع أبنائهما برفق ولين واحترام متبادل، يؤدي بدوره
إلى

انعكاس هذا على سلوك الأبناء بالإيجاب، فينشأ جيل صالح، بين أبوين صالحين،
والعكس بالعكس؛ فخلاقات الآباء الكثيرة - خاصة أمام أبنائهم - من شأنه أن يحدث
ألماً في نفوس هؤلاء الأبناء، ويترجم ذلك بالنقمة، والاستياء في خلقهم، وفشو
السلوكات المنحرفة بينهم، خاصة إذا انفصل الأب والأم عن بعضهما البعض،
وحدث الطلاق بينهما، فحينئذ لا يجد هؤلاء الأبناء من يوجه ويرشد، فيقعوا عندئذ في
الانحرافات السلوكية، ويصبحوا وقوداً لنشر الجريمة في المجتمع.

وإن النبي ﷺ أخبر عن واجب النصح للأبناء، بل وسائر ما يسترعي الله
عبدَه؛ كما في الحديث: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن
رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية
وهي مسئولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته»^(٢).

ففي هذا الحديث من الزجر والنهي عن تضييع الرجل والمرأة لما استرعاها
من الأبناء ما فيه؛ فإن الإنسان إذا أيقن أنه مسئول أمام الله تعالى عن هذه الزرية،
لما أقدم على تضييع حقوقها عليه من التوجيه والإرشاد وبيان الحق من الباطل،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٦٣/٣) برقم
(٢١٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين،
ومجانبة قرناء السوء (٢٠٢٦/٤) برقم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه -

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه
(١٢٠/٣) برقم (٢٤٠٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل،
وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١٤٥٩/٣) برقم
(١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -.

وبيان سبل الهدى والرشاد لهم، فلا تنشأ مثل تلك الناشئة الفاسدة في المجتمعات الإسلامية مطلقاً.

المطلب الخامس: الفراغ القاتل

إن نعمة الفراغ هي من النعم العظيمة التي يُغيب فيها أكثر بنو آدم؛ كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

فإن من خصائص النفس البشرية أنه لا بد للإنسان أن يشغلها بالحق وبما ينفعه في دنياه وآخرته، وإلا فإنها حتماً ستشغله هي بالباطل، وبما يوبقه في دنياه وآخرته، ومن هنا يأتيه الغبن والوكس في صفقته.

قال ابن بطال: "إنما أراد ﷺ بقوله: «الصحة والفراغ نعمتان» تنبيه أمته على مقدار عظيم نعمة الله على عباده في الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً مؤثراً العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما، فليحذر أن يغبنهما. ومما يستعان به على دفع الغبن أن: يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمن عليهم بصحة الأجسام، وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم، وضاعف لهم الحسنات، ولم يضاعف عليهم السيئات، وأمرهم أن يعبدوه، ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرف يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلوداً دائماً في جنات لا انقضاء لها، مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أنعم النظر في هذا، كان حرياً ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة ربه، ويشكركه على عظيم مواهبه، والاعتراف بالتقصير عن بلوغ كنه تأدية ذلك، فمن لم يكن هكذا، وغفل وسها عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنه في سهو ولهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى، فقد غُبن أيامه، وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم"^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة (٨٨/٨) برقم

(٦٤١٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، ١٠/١٤٦-١٤٧، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢: مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ١٤٢٣ هـ -

٢٠٠٣ م.

فالوقت هو رأس مال الإنسان، الذي ينبغي أن يشغله بالذكر والطاعات والأعمال النافعة في الحياة وبعد الممات، وقد أخبر النبي ﷺ أن العمر مسئولية عظيمة؛ كما في الحديث: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَدِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا أُنْفَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

المطلب السادس: الدنيا

أكثر الله من التحذير من فتنة الدنيا لعظم خطرها وشدة تأثيرها وبريق زخرفها وقوة سحرها على النفوس الضعيفة قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ تَبَاطُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾^(٢)

وقد ضرب الله مثلا للدنيا على هوانها وزوالها وذهاب زينتها فقا: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾^(٣). والكافر أشد إعجابا بزينة الدنيا لأنه ركن إليها واتخذها دارا له أما المؤمن فيأخذ منها حاجته ولا يغرر بها لأنه يوقن أنها دار ممر وليست دار مقر وإذا أعجب بها ذكر الآخرة فهانت على نفسه ولم تفتته . والمقصود من الآيات والأخبار في ذم الدنيا انتقاء فتنتها وعدم الغلو في محبتها والركون إليها وعقد الولاء عليها أما طلب الرزق الحلال وتعاطي أسبابها للقيام بالمصالح الدينية والدنيوية فهذا مأذون فيه شرعا ولا يدخل في الذم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(٤)

ومما يزهد المؤمن في الدنيا ويبين حقارتها أن الله بسطها للكفار وفتح لهم زهرة الدنيا وعجل لهم طيباتهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة (٦١٢/٤) برقم

(٢٤١٧)، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٥

(٤) سورة الملك، الآية: ١٥

مِنْ مَالٍ وَيَبِينَنَّ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ وقد قال النبي ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) ﴿٢﴾.
وفتنة الدنيا تكون في أمور: من أبرزها:

الأول: جمع الدنيا من الطريق الحرام من الربا والغش والسرقة أو عدم المبالاة في اكتساب المال أهو من الحلال أو الحرام فيخوض في الشبهات ويستسهل مظالم الناس قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٣﴾.

الثاني: المبالغة في الاشتغال بجمعها وفتنة القلب بزخرفها فتصدده عن ذكر الله وتلهيه عن القيام بالفرائض وتوقعه في المحرمات.

الثالث: الغلو في محبة الدنيا واللهاث وراء سرايها حتى يغلب عليه الطمع والجشع والبخل فيمنع حقوق الناس ويتخلق بالكذب والتدليس على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤﴾.

الرابع: أن تستحوذ الدنيا على جل همه وسعيه حتى تعمي بصيرته فيغضب لأجل الدنيا ويرضى لأجلها ويعطي لأجلها ويمنع لأجلها قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ﴿٥﴾.

ومن أعظم أخطار التعلق بفتنة الدنيا والجري الشديد وراء زخرفها والتفات القلب لزينتها وقوع التنافس المذموم بين المسلمين أفراداً ودولاً مما يورث التنازع والتحاسد والعداوة والبغضاء التفرق.

والمؤمن الحق يجعل همه واهتمامه منصب على عمل الآخرة فيحرص على اغتنام وقته في الصالحات والمسابقة في الخيرات ولا ينسى نصيبه من الدنيا فيأخذ منها ما يبلغه ويصلح شأنه ولا يجعل الدنيا هي الأصل في قلبه ويجعل الآخرة في الهامش، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٦﴾.

والناس في موقفهم من الدنيا على أقسام (١):

- (١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٥
- (٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، (٤/٢٢٧٢)، برقم (٢٩٥٦) :
- (٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٨
- (٤) سورة التغابن، الآية (١٦)
- (٥) سورة التوبة، الآية (٥٨)
- (٦) سورة القصص، الآية (٧٧)

الأول: من يغلب على قلبه حب الدنيا فيؤثرها على الآخرة ويفرط في دينه وينصرف همه وقلبه لعمارتها ولو على حساب خراب آخرته وهذا هو حال أهل الدنيا المفتونين بها الذين قال فيهم النبي ﷺ: (تَعَسَّ عَبْدُ الدَّبَّارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأُنْتَكَسَ، وَإِذَا شِئِكَ فَلَا انْتَقَشَ) (١).

الثاني: من يسعى لكسب الرزق لكن يجعل الدنيا في يده ولا يجعلها في قلبه ويقوم بحق الله وحقوق عبادة ويكون زاهدا فيها باذلا لفضلها قال تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٢).

الثالث: من يعرض عن الدنيا بالكلية ويقعد عن طلب الرزق ولا يغني نفسه عن السؤال أو التعرض لإحسان الناس وعطاياهم فيذل نفسه وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وهو مسلك الصوفية من أهل البطالة قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٣).

الرابع: من يكون عنده حرص شديد على جمع الدنيا محبا للاستكثار منها مولع بزخرفها والتوسع في متعها صارفا أكثر وقته في تحصيلها مائلا إلى الإمساك مع قيامه بالفرائض في الجملة فهذا وإن كان على خير إلا أنه يخشى أن يكون قلبه مبتلى بمرض خفي يفضي به إلى الكسل عن الطاعة والقعود عن مجالس الذكر والتساهل في التجارة المشبوهة والوقوع في المظالم وقد ورد. وعلامة هذا القسم من الناس تطلعه الشديد للدنيا ومناقسته لأهلها وعدم قناعته بما قدر الله له من الرزق وقلقه الدائم وحزنه الشديد على خسارة ماله وعدم غنى نفسه مع تملكه لأصناف المال واستغنائه عن الخلق.

المطلب السابع: اتباع الهوى

أعظم مشكلة تواجه الإنسان في حياته اتباع الهوى، وإذا غلب الهوى على النفس أظلم القلب، وجنح العقل، فلا يسمع الإنسان كلمة الحق، ولا يرى إلا الأباطيل والأشباح المفزعة التي تجعله في حياته تعسا شقياً.

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، شرح حديث (٢٧٨٨).

(٢) سورة النور، الآية (٣٧)

(٣) سورة الجمعة، الآية (١٠)

إن الهوى عدو العلم والحق؛ إذ يقود صاحبه لارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وصاحب الهوى ظالم لنفسه فقد حرّمها نعمة الإيمان، وحجبها عن نور المعرفة، فعاش حياة الخوف والفرع، وشحن بالحدق والحسد، وأغواه الشيطان فضل عن سواء السبيل، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) ويقول سبحانه: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾^(٢).

إن أصحاب الهوى يعيشون جل حياتهم في قلق مزمن وخوف دائم، وإن تظاهروا بالسعادة، فإن الحقيقة أن بواطنهم يخيم عليها التعاسة والشقاء الدائم ويختلف عباد الهوى في ضلالهم، فمنهم من يزعم العلم وما يتبع إلا الظن، ومنهم من يتوهم الهدى وما يعبد إلا الشيطان، ومنهم من يخيل إليه الباطل حقاً والحق باطلاً، ولا يكفي أصحاب الهوى عن التعريض بالمؤمنين، فأمانهم أن يضلّوهم عن طريق الحق، فإن لم يستطيعوا كادوا لهم، وسلطوا عليهم المفسدين لظلمهم والنيل منهم^(٣).

وقد أمرنا الله تعالى بعدم الالتفات إلى أهل الهوى، وعدم اتباعهم، أو طاعتهم فيما يقولونه ويفعلونه، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٥).

إن الزمان لا يخلو من أهل الهوى، كما أنه لا يخلو من أهل الحق، وأهل الهوى هم المنحرفون الضالون عن الطريق المستقيم لا أخلاق لهم ولا فضيلة، وأهل الحق هم أهل الإيمان والتقوى والأخلاق الفاضلة^(٦).

المطلب الثامن: النفس

يُعتبر تأثير النفس (أو العوامل النفسية) من العوامل الهامة التي تساهم في انحراف السلوك، حيث يمكن أن تؤدي بعض الاضطرابات والمشاكل النفسية إلى سلوكيات غير مقبولة اجتماعياً أو قانونياً. وتتنوع هذه التأثيرات لتشمل عوامل مختلفة مثل الاضطرابات العاطفية، والضغط النفسي، والاضطرابات الشخصية، ونقص الوعي الذاتي.

(١) سورة القصص، الآية (٥٠)

(٢) سورة الروم، الآية (٢٩)

(٣) الشرقاوي، حسن: الأخلاق الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ٢١ - ٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية (٢٨)

(٥) سورة محمد، الآية (١٤)

(٦) الشرقاوي، حسن: الأخلاق الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ٢١ - ٢٣.

فالإسلام، يعد النفس مركزاً للإيمان والسلوك، فهي الدافع لسلوك الإنسان بما تتطوي عليه من دوافع تتبع منها، وتأثيرها واسع النطاق على حياة الفرد بل والمجتمع. فالنفس، هي محور التزكية والتقوى، وبصلاحها يصلح السلوك، وبالعكس.

وهي في الإسلام محل ابتلاء، بما تحويه من قوى ورغبات، ومن ثم جبلها الله على حب الشهوات ولكنه -سبحانه- جعلها قابلة للتزكية والارتقاء، وجعل -سبحانه- الإيمان بالله هو الزاد الذي يقويها ويزكيها ويصلحها ويحضرها على فعل الخير، ويقودها للتخلي بالفضائل، واستشعار الرقابة الذاتية باستحضار أسماء الله وصفاته في كل ما يقدم عليه الإنسان.

• اضطرابات الشخصية:

بعض اضطرابات الشخصية مثل اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع (السيكوباتية) تتميز بسلوكيات انحرافية كسمة أساسية، حيث يكون الشخص غير مبالٍ بحقوق الآخرين، وغير قادر على تحمل المسؤولية، وقد يكون عنيفاً أو كاذباً.

المبحث الثالث: آثار الانحراف السلوكي على الفرد والمجتمع

إن مشكلة الانحراف السلوكي هي أحد أكبر المشاكل التي تمثل تحدياً للأمة على مستوى الفرد والمجتمع، فأما على المستوى الفردي؛ فإن الانحراف يعد اختراقاً للبنية الشخصية السوية، مما يترتب عليه انتهاك لقواعد السلوك على مستوى الفرد، سواء كان سلوكاً نفسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، مما يكون له أبلغ الأثر في تكوين هذا الفرد.

أما الانحراف السلوكي الاجتماعي، فإنه يختلف من مجتمع إلى آخر -دون المجتمع الإسلامي-؛ فاعتبار الزنا مجزماً قانونياً أو مجتمعياً يختلف من مجتمع إلى آخر، أما السلوك الإسلامي، فلا يختلف من مجتمع إلى آخر، ولا من زمان إلى زمان، فالشريعة الإسلامية -بحمد الله تعالى- ثابتة محكمة إلى قيام الساعة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وسوف أبيّن في المباحث التالية جانباً من الآثار المترتبة على الانحراف السلوكي الفرد والمجتمع، وطرق الوقاية منها، وعلاجها.

المطلب الأول: آثار الانحراف السلوكي على الفرد

إن انحراف السلوك الإنساني يكون شيئاً فشيئاً؛ نتيجة لاستجابة الإنسان لوسوسة الشياطين، والميل إلى هوى النفس، ورفقاء السوء، كل ذلك من شأنه أن

يجعل الفرد يسقط في بحور عميقة من الاستسلام لداعي الشهوات والفتن، والتي لا مخرج منها إلا بالاستعانة بالله -جل وعلا-؛ لذلك حذرنا المولى -جل ذكره- من بوادر الاستجابة لداعي الهوى، ووسوسة الشيطان من البداية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١)، وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٣).

وكذا حذرنا نبينا ﷺ من خطورة الذنوب والمعاصي على حياة القلوب، وسلوك بني آدم؛ كما في الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ حَاطِيَةً نُكَّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَأَلَّا بِلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٤) (٥).

فقد بين النبي ﷺ خطورة الانحراف السلوكي على الفرد؛ حيث شبه القلب النقي النظيف بالثوب الأبيض شديد البياض، فأى سلوك خاطئ منحرف سيؤثر فيه بالسواد والوسخ شيئاً فشيئاً؛ حتى يصبح القلب أسود مُرباداً لا يستطيع أن يرى النور، وهكذا الانحراف يجر إلى انحراف آخر غيره حتى يهلك الإنسان، ويفقد الثقة في نفسه، ويفقد الناس ثقتهم فيه، ومن ثم ينحرف في بحور الغواية والرذيلة، وينزل في الضلال المبين بشتى أنواعه.

المطلب الثاني: آثار الانحراف السلوك على المجتمع

كما سبق وبينت فإن الانحراف السلوكي يؤدي إلى ضعف الإيمان وظلمة القلب، وذهاب الحياء؛ فصاحب الإيمان الراسخ، والعقيدة الثابتة، لا يتأثر بما يحيط به من فتن، أو ابتلاءات؛ فهو يؤمن بأن هذه الحياة الدنيا إنما هي دار اختبار، وابتلاء، وليست دار جزاء، فلا يتأثر سلوكه بما يحيط به من أحداث، سواء كانت فتن شهوات، أو شبهات، فهو يجتهد في صدها بإيمانه، لأنه يعلم أنها لو تمكنت منه

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٨)

(٢) سورة يس، الآيات (٦٠ - ٦١).

(٣) سورة ص، الآية (٢٦).

(٤) سورة المطففين، الآية (١٤).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب التفسير، باب ومن سورة ويل للمطففين (٤٣٤/٥) برقم

(٣٣٣٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (١٤١٨/٢) برقم (٤٢٤٤) من

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

لأهلكته، فالذنب تلو الذنب، والخطيئة تلو الخطيئة، تجتمع على قلب ابن آدم فتضعف إيمانه، وتُفسد قلبه، وتضعف من إجلاله لمولاه، وتعظيمه في نفسه؛ قال الإمام ابن القيم: «إِنَّ عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجربون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله - جل جلاله-، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه»^(١).

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: «والحياء شعبة من الإيمان»^(٢).

وأيضاً بقوله: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(٣).

فالمجاهر الذي يسقط حياؤه، وينحرف في سلوكه، ويعجب ويتباهى بانحرافه؛ وذلك لأن الحياء هو مادة القلب، وأصل كل خير، وغيابه هو غياب لكل خير، وإذا استمر على عناده، انتشر فساده وعمت فتنته، وكان ناشراً للفساد في الأرض؛ ولذا فإن انحراف الفرد سلوكياً يؤدي بدوره إلى انحراف المجتمع، وتدميره بأسره، وفساده، ونشر الجريمة والفوضى وغياب الأمن فيه؛ لذلك حضنا القرآن الكريم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٤).

فمن ثمرات هذا الخلق -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- الحفاظ على وحده المجتمع ونهضته ورقبه، ودفع العقوبات الإلهية عنه؛ كما في الحديث: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص ٦٩، ط١: دار المعرفة - المغرب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (١١/١) برقم (٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (٦٣/١) برقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه-.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه (٢٠/٨) برقم (٦٠٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه

(٤) (٢٢٩١/٤) برقم (٢٩٩٠) ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه-.

(٤) سورة: آل عمران، الآية: (١١٠).

عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١).

فلو أن المسلمين حافظوا على هذه الشعيرة -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-، لحافظوا على الفطرة السوية من التأثر بمحيطها، ولأقاموا حصناً منيعاً للأخلاق، يمنع من اختراق سياجها، ولا تنتشر الأمن والأمان في المجتمع. أما عن كيفية تدمير الانحراف السلوكي للمجتمع، وإفساده، فالانحراف هو عبارة انتهاك معايير السلوك الاجتماعي في المجتمع، مما يترتب عليه انهيار معايير السلوك الاجتماعي في المجتمع، مما يؤدي بدوره إلى انهيار أخلاقي، وقيمي، وثقافي، وانتشار الجريمة والفوضى بين الناس، مما يُمكن الأعداء من تحقيق أطماعهم، وتمزيق وحدة المجتمع.

وقد حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من ذلك؛ حيث قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»^(٢).

فحذرنا النبي ﷺ من تلك الانحرافات السلوكية، التي تضع هيبة الأمة، بحيث يكون عددها كثير، إلا أنهم مع ذلك لا يؤبه لهم، ولا يردعون ولا يخيفون أعدائهم؛ كأنهم الزبد الهاش الضعيف الذي لا تأثير ولا وجود في الحقيقة.

المبحث الرابع

طرق الوقاية من انحراف السلوك والعلاج

المطلب الأول: طرق الوقاية من ظاهرة انحراف السلوك

يمكن إدراج تلك الطرق للوقاية فيما يلي:

أولاً: التوعية بما يدور من أخطار سلوكية في المجتمع:

فالوعي عند الأشخاص المنحرفين سلوكياً وفكرياً لا بد أن يكون بأفضل الأساليب وأحسن العبارات التي تبين السلوك الخاطيء من حيث صورته، وأسبابه،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب ماجاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٦٨/٤) برقم (٢١٦٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما - وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (١١١/٤) برقم (٤٢٩٧)، من حديث ثوبان رضي الله عنه-، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٤٧/٢) برقم (٩٥٨).

ونتائج البعدية على الفرد والمجتمع، وآثاره على الشخص من حيث السمعة وتراجع العمل وسوء العلاقة بالآخرين، وانعكاساته على صحته النفسية والبدنية، مما يستدعي تحمله للمسئولية الكاملة من دون نقصان؛ فالإنسان هو الذي يهدم نفسه، أو يسمو بها في أعلى الآفاق قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(١).

ثانياً: التربية السلوكية المبنية على ربط السلوك بما يلي:

١- أن العبرة في السلوك بالظاهر والباطن معاً؛ فسلوك الخير، والمعروف، لا يكتفى فيه بمجرد الظاهر، بل يمتد الحكم عليه إلى النوايا والمقاصد التي لم يطلع عليها في السلوك أحد؛ قال -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

٢- بالجزاء الأخروي: فإن أصحاب الأعمال الخيرة جزاؤهم عظيم في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا: لهم الراحة والطمأنينة والسعادة والسرور، وفي الآخرة: الفوز بالجنة والنجاة من النار والسرور؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤).

٣- مراقبة الله -جل وعلا- في القول والعمل: وهذا من شأنه أن يربي الإنسان على الرقابة الذاتية، النابعة من داخل نفسه، وبهذا يقبها السوء، ومقارفة مساوئ الأخلاق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٥)، فإذا تمكن الإنسان من الهروب من السلطة البشرية، فإنه يكون على يقين بأنه لا يمكنه الهروب من الرقابة الإلهية.

(١) سورة: النازعات، الآية: (٣٧ - ٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (٦/١) برقم (١) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (٣/١٥١٥) برقم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-.

(٣) سورة: النحل، الآية: (٩٧).

(٤) سورة: الزمر، الآية: (١٠).

(٥) سورة النساء، الآية: (١).

المطلب الثاني

طرق علاج ظاهرة انحراف السلوك والتعامل معها

الفرع الأول: ضبط النفس بضوابط الإيمان

إن الله -جل جلاله- هو خالق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، ولما كانت النفس البشرية مكونة من ألطاف ثلاث: العقل، والقلب، والنفس؛ فلذا أنزل الله الدين ليعقل ويضبط به النفس، ويسوسها، ويوجه به ميل القلب، فيفرش فيه الخشية واليقين والتوحيد والتواصل مع ربه، فيضيء قلب المرء، ويمتلئ بالسعادة بالقرب من خالقه وبارئه، وتسمو النفس وتتهافت إلى امتثال الطاعات، والبعد عن المعاصي وسيء الشهوات، فلا تشتهي إلا ما يرضى ربه، ولا تتحرك إلا بأمر الله، وفيما يرضيه، فالنفس هي جوهر الإنسان وحقيقته، فإذا خرجت الروح من الجسد، أصبح جثة هامة، ونزعت منه الطاقة العصبية المحركة وتوقفت الحواس، فتركيتها حتم لازم، وضبطها من الضرورة بمكان.

والضبط هو عبارة عن: لزوم الشيء. والمقصود به هنا: إلزام النفس بفعل الخيرات، والبعد عن الشرور والمنكرات، والصبر على ذلك، وهذا ما يسميه علماء السلوك بالتركية، ولقد أقسم الله تبارك وتعالى أن الفائز هو من زكى نفسه، وأن الخاسر هو من أطاعها، وأتبعها هواها؛ فقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١).

وإننا نجد ديننا الحنيف قد عالج قضية تركية النفوس، وعلاجها من آفاتها في غير موطن من موطن التنزيل الحكيم، والسنة النبوية المطهرة، وذلك بطريق وضع ضوابط محددة لهذا الغرض الشريف؛ وإن من أبرز هذه الضوابط الإيمانية للنفس ما يأتي:

١. الاعتراف بعيوب النفس وإصلاحها:

وذلك من خلال بذل الوسع واجتهاد في إصلاحها وتنميتها بكل خلق قويم وحجبها عن كل خلق رذيل، ومحاسبتها بين الحين والحين حتى تستقيم؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾^(٢).

(١) سورة: الشمس، الآية: (١ - ١٠).

(٢) سورة: الأنعام، الآية: (١٠٤).

٢. الرضا بقضاء الله تعالى وقدره الله:

فإن الله تعالى لا يرضى عن العبد حتى يرضى هو عن ربه ومولاه، وحتى يرضى أفعاله، فيكون على يقين أن أفعال الله كلها حكمة ورحمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها؛ فالرضا بالقضاء يملأ القلب سكينه، وخشوعاً وسعادة وسروراً، وعلى العبد أن يؤمن بأن عطاء الله عطاء، ومنعه منح؛ فالحرمان قد يكون عين العطاء، والمصيبة تكون عين النعمة.

٣. التقرب إلى الله بكل ما يحب من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة:

ومن ذلك ما جاء في الحديث: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

حتى يصبح العبد شفافاً نورانياً، فإذا كان العبد لا يسمع إلا ما يرضى الله، ولا يبصر إلا ما أباحه الله، ولا يتحرك إلا بما أَرادَه الله، كان العبد عبداً ريانياً يرى بنور الله، على بصيرة منه بكل مجربات الحياة.

الضلع الثاني: تفعيل دور الأسرة والمسجد

فالأسرة هي الحاضن الأول في تعهد النشء بالرعاية والهداية، فلا بد أن يتحلى الوالدان بالأخلاق الكريمة حتى يستحقا أن يكونا المثل الأعلى للأبناء، ويوفرون الدفء والمحبة والحنان والرحمة والوئام حتى تعيش الأسرة في هدوء وانسجام، ويخرج الأبناء في بيئة سوية داعمة ومحفزة، وتسعى دائماً لغرس الإيمان ومحبة الله في نفوسهم.

وأيضاً فإن للمسجد دور فعّال في حياة الأبناء؛ ولذا فقد وجب على العلماء أصحاب العلم الشرعي والحكمة التعامل مع المواقف والأفكار والمعتقدات في قلوبهم حتى يتقوى الوازع الديني في نفوسهم، وتبث الرقابة الذاتية في دواخلهم، فتكون خشية الله ومراقبته والخوف منه والرجاء فيما عنده هو نهج حياتهم. وكذلك يجب على الخطباء، وأصحاب القوة والهيبة والقدوة، التصرف مع مواقف الحياة المختلفة، كل حسب طاقته، وفي ميدانه؛ فالخطيب يستطيع الإقناع والتوجيه والإرشاد والتحفيز

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع (١٠٥/٨) برقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والدفع للإنتاج بأفضل السبل الممكنة؛ ولذا فإنه لا بد من اختيار الأئمة والخطباء الأكفاء من أصحاب العلم الشرعي، والحكمة في التعامل مع المواقف والأفكار والمعتقدات، وأيضاً الخطباء أصحاب القوة والهيبة والقدرة على التصرف مع مواقف الحياة المختلفة.

الفرع الثالث: إبراز القدوة الصالحة وتوحيد المرجعيات الشرعية

فلا بد أن تكون هناك نماذج مشرفة من العلماء العاملين، والدعاة والمفكرين المؤهلين بعلمهم وثاقب نظرهم في أساليب التعامل مع الناس، وتوجيههم إلى صراط الله المستقيم؛ فإن الله تعالى قد جعلهم قادة إلى الخير والإصلاح، وهم مبلغو الحق ومرشدو البشرية، وناشرو العلم والحكمة والفضيلة، فمستوليتهم هذه مسئولية عظيمة؛ وهي عبارة عن التربية والتوجيه، والقيادة الحكيمة العاقلة، الحامية للشباب من الضلالات والفتن، واستغلال أعداء الدين في إحداث الخلافات والفتن، وتمزيق وحدة الأمة؛ فإن العلماء الريانيين قدوتهم هو رسول الله ﷺ الذي قاد البشرية بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١).

ولذا فإنه ينبغي إبراز تلك القدوات الصالحة وتوحيد المرجعيات الشرعية، والتي يرجع إليها في المهمات والمعضلات، والأزمات، فهم حماة السلام، ورعاة الأمن والإيمان، والسلامة والاستقرار.

كما أنه ينبغي أيضاً توحيد الفتاوى، لاسيما تلك المختصة بالنوازل العامة، ووضع الفتاوى الفردية في الشؤون الجماعية، وحسمها بفتاوى رسمية تصدر عن المجامع الفقهية المعتمدة.

الفرع الرابع: تفعيل دور مؤسسات الدولة في صياغة تشكيل الإنسان

فالإنسان ينطوي على أفكار، وعقائد، وعادات، فينبغي صياغة تلك الأفكار والمعتقدات والعادات وفق التصور الإسلامي الدقيق؛ فعلى سبيل المثال: الإعلام يلعب دوراً في تشكيل عقل وشكل الإنسان داخل المجتمع، والتعليم هو الباني للعلوم والحضارات البشرية، فينبغي على الوزارات وكافة مؤسسات الدولة العاملة أن تسعى جاهدة لاستقامة الأفكار، وصحة المعتقدات، وبتث الأمل، وتبيان طريقه من خلال التخطيط الهادف العميق؛ لوقاية المجتمع من الانحراف الفكري والسلوكي والاجتماعي، وذلك بتكليف كل فرد بدوره المنوط به من غير إخلال ولا تقصير؛

(١) سورة: الأحزاب، الآية: (٢١).

ليكون حلقة في سلسلة ذهبية صلبة، تحيط بالمجتمع، فتقويه، وتمنع من تسرب كل دخيل فيه.

فالمعلم مربي ومهذب وموجه، وإمام المسجد مربي وموجه ومؤدب وناصح أمين وجامع للقلوب والنفوس، والمذيع مؤتمن ومرب ومهذب ومطلع وصاحب ثقافة عالية ومتنوعة؛ وهكذا يكون الجميع ساعياً في تشكيل وبناء الشكل الإنساني وفق الصورة الشرعية المثلى في تكوين المصير، وإيجاد المجتمع المتحاب المتعاون المترابط في صورته الجميلة المليء بالحب والتراحم، والتكافل، والعمل والاحترام. فرعاية الشباب وتحصينهم، وحماية المجتمع وأمنه تقع على عاتق الجميع، وعلى رأسهم ولاية الأمور من الحكام والقادة والعلماء والمربين والخطباء والدعاة والمفكرين والأئمة الحاملين لأمانة الرسالة، فينبغي على الجميع أن يقوم بدوره دون تفریط ولا تقصير.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد استعرضت في البحث العديد من المفاهيم العلمية الخاصة بتعريف السلوك، وضوابطه، وانحرافه، والأسباب المؤدية إلى ذلك، ثم بينت آليات الوقاية وطرق العلاج، وآثار ونتائج الانحراف على الفرد والمجتمع، وقد توصلت من خلال ذلك إلى نتائج ومقترحات هامة، تتمثل فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١. أن الشريعة الغراء جاءت لتوجيه السلوك الإنساني إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ ذلك أن أصل فطرة الإنسان: الخلق القويم، وأما انحراف السلوك، إنما يكون بحسب انحراف الفطرة والبيئة المحيطة بالإنسان، فمن أجل المحافظة على السلوك القويم، وضبطه بالضوابط الشرعية، لا بد من التمسك بالفطرة، ولا يمكن معرفة الفطرة إلا بالوقاية الإيمانية للفرد، والمحاسبة الدائمة للنفس، وتحمل المسؤولية الكاملة، والتزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفراد المجتمع.
٢. أن الشرع الحنيف قد بيّن أن أسباب الانحراف محصورة في الجهل، وضعف الإيمان، ونزغات الشيطان وقرناء السوء.
٣. أن الشريعة الغراء قد بينت خطورة الانحراف السلوكي على الفرد والمجتمع، وتتبع الآثار السلبية المترتبة على ذلك على مستوى الفرد والمجتمع.
٤. وقد توصلت إلى المنهج الشرعي لضبط السلوك الإنساني بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى المنهج الوقائي من الانحراف السلوكي.

ثانياً: التوصيات:

١. ينبغي على المؤسسات التربوية أن تصب جلّ اهتمامها على تهذيب السلوك الإنساني، وآليات تنميته وتطوره، على مستوى الفرد والمجتمع، وأن تأخذ بعين الاعتبار آليات الحد من الانحرافات المفسدة للفرد والمجتمع، وأن تضع استراتيجيات موحدة؛ لمؤازرة المجتمع في إيجاد رؤية تضامنية منظمة تتحكم في توجيه السلوك الإنسان.
٢. ينبغي على الجهات البحثية الاهتمام بأبحاث السلوك وأسباب انحرافه وآثار ذلك على الفرد والمجتمع.
٣. إيجاد مراكز بحثية تربوية نفسية أكاديمية متخصصة تعنى بدراسة السلوك وآليات الحفاظ عليه، وتطويره والتحذير من انحرافه، ومدى الفساد المتحقق منه؛ لمواجهة تحديات الآفات السلوكية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن السبكي، عبد الوهاب تاج الدين، الأشباه والنظائر، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ط١: دار المعرفة - المغرب.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص ٦٩، ط١: دار المعرفة - المغرب.
- ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم أبو الفضل، لسان العرب، ط١: دار صادر - بيروت.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، ت: علي محمد عوض. ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٠ م.
- أبو الحطب، فؤاد - وفهمي، محمد سيف الدين، معجم علم النفس والتربية، بإشراف: عبد العزيز السيد، ط: مجمع اللغة العربية - مصر - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٤ م.
- أبو داود، "صحيح أبي داود"، تحقيق الألباني، مؤسسة فارس للتوزيع والنشر، الكويت، ١٤٢٣ هـ.
- الإفريقي، ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". ط٣، بيروت ١٤١٤ م.
- البخاري، محمد إسماعيل، "صحيح البخاري"، تحقيق: محمد زهير بن زهير الناصر، ط١، د.م: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، ١٤٢٢ هـ.
- البليهد: خالد بن سعود الحذر من الدنيا، موقع صيد الفوائد، تاريخ الاسترداد ٢٨ / ٨ / ٢٠٢٥.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، "الجامع الصحيح سنن الترمذي"، تحقيق: أحمد محمد شاکر و آخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الجوهرى، إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي، الصحاح تاج اللغة، ط٤: دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ط٧: دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٩٦٨م.
- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين أبو طاهر، القاموس المحيط، ت: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ط: مطبعة سفير، الرياض، ١٤٣٣هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني - وإبراهيم أطفيش، ط٢: دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مناع القطان، التشريع والفقہ في الإسلام تاريخاً ومنهجاً، ط٢: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- المهدي، حسين بن محمد، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ط: وزارة الثقافة اليمنية، ٢٠٠٩م.
- موسى، محمد يوسف، مباحث في فلسفة الأخلاق، ط: مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م.
- النيسابوري، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، "صحيح مسلم"، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- يونس، عبد الوهاب عيسى، "السلوك الإنساني بين الفطرة و المؤثرات في القران الكريم"، دراسة تحليلية موضوعية، رسالة دكتوراة، إشراف سر الختم سعيد محمد، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن. ٢٠٠٢م.